أ. ممدوح سيد محمود حسن
رئيس المركز الإسلامي بالمكسيك

الملف

دور الإيمان في تحقيق السلام الاجتماعي

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله.

أما بعد.. إن المجتمع المسلم الذي شيد القرآن الكريم صرحه الشامخ وأرسى لبناته وقواعده نبينا المصطفى كان مجتمعا فريداً في كل شيء فهو مجتمع له أدب فريد مع الله جل وعلا، يقوم على أساس العبودية لله جل وعلا امتثالا عمليا لقوله عزوجل: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾(١). وهو مجتمع له أدب فريد مع رسول الله يقوم على أساس الإيمان الصادق الإتباع الصحيح والمحبة الكاملة لرسول الله امتثالا عمليا من أفراد هذا المجتمع الكريم لقوله: ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾(٢) وهو مجتمع به أدب فريد مع نفسه مجتمع تصان فيه الحرمات، مجتمع لا تتبع فيه العورات، مجتمع لا تنتهك فيه الأعراض، أحاطه القرآن الكريم بسياج من الفضائل الكريمة والمشاعر النبيلة، لا فضل في هذا المجتمع لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود، بل لا

فضل لأحدهم إلا بالتقوى والعمل الصالح كما قال جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[٣]. وهو مجتمع له ادب فريد مع الغير، والحق ما شهدت به الأعداء: هاهو (غوستاف لوبون) يقول منصفا للحق قبل أن يكون منصفاً للإسلام والمسلمين يقول: لم تعرف الأمم فاتحين راحمين متسامحين كالمسلمين، ولم تعرف الأمم دينا سمحا كدينهم.

ان النبي قد أرسى قواعد المجتمع المسلم، وشدد على حرماته تشديداً عظيماً ففي الصحيحين من حديث ابن عباس وابي بكر (رض) أن النبي خطب الناس يوم النحر في منى وقال:.. أتدرون أي يوم هذا؟.. فرد الصحابة (رض).. في أدب جم: الله ورسوله أعلم.. قال الحبيب: أليس يوم النحر؟.. قالوا: بلى فقال المصطفى: أي شهر هذا؟.. فقال الصحابة: الله ورسوله أعلم فقال المصطفى: أليس ذا الحجة.. قالوا: بلى فسألهم المصطفى: ان دماءكم وأولادكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا.. ثم قال: ألا هل بلغت اللهم اشهد.. وأعادها مرارا بأبي هو وأمي ثم التفت إلى الصحابة وقال: فليبلغ الشاهد الغائب.. ثم قال: لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض.

حق الحياة

إن الله تعالى قد كرم الإنسان تكريماً عظيماً، خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته، وأنزل له الكتب وأرسل له الرسل ووضع له شريعة محكمة تضمن له الحقوق والسعادة في الدنيا والآخرة، وإن أول وأكبر وأعظم حق ضمنته الشريعة الإسلامية للإنسان في الأرض هو حق الحياة، فإن الله وحده هو خالق الحياة وهو واهب الحياة، وهو وحده الذي يعلم من خلق وهو العليم الخبير، فسفك الدماء جريمة بشعة تأتي مباشرة بعد جريمة الشرك بالله، في كتابه الكريم: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[٤].

وفي صحيح البخاري أن النبي قال: .. «لا يزال المؤمن في فسحة من دينه مالم يصب دما حراماً».. وكان ابن عمر (رض) يقول: إن من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله. وفي الصحيح الذي رواه أحمد وأبو داود والنسائي والحاكم من حديث معاوية ان النبي قال: «كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا من مات مشركا أو قتل مؤمنا متعمدا» وفي الحديث الصحيح الذي رواه النسائي من حديث بريدة ان النبي قال: «قتل المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا» .. بل ومن أعجب الأحاديث الصحيحة في هذا الباب ما رواه النسائي والبخاري في التاريخ الكبير وصحح الحديث الألباني في صحيح الجامع من حديث عمرو بن الحمق الخزاعي أن الحبيب النبي قال: «من أمن رجلا على دمه فقتله فأنا بريء من القاتل وإن كان المقتول كافرا..».

حرمة الدماء عظيمة عند رب الأرض والسماء فمن أجل ذلك جعل الدماء هي أول شيء يقضي فيها الله بين العباد يوم القيامة كما في الصحيحين عن أبي هريرة أن النبي قال: «أول ما يقضي فيه بين الناس يوم القيامة في الدماء».

حرمة المال: من حق المسلم في المجتمع الإسلامي أن يأمن على ماله وهذا هو عنصرنا الثالث من عناصر اللقاء حرمة المال إخواني الكرام.. المال مال الله، فهو واهبه ورازقه قال تعالى: ﴿ وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ النور فالمال مال الله ﴿وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾(٥). قال سبحانه: ﴿ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾(٦). الحديد وقال سبحانه: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾(٧). ثم أضاف الله عزوجل المال للعباد تكرما منه وتفضلا من ناحية وابتلاء واختباراً لهم من ناحية أخرى، أركز في هذه الكلمة مرة اخرى وأعيدها أيها الفضلاء وأقول.. ثم أضاف الله عزوجل المال للعباد تكرما منه وتفضلا من ناحية وابتلاء واختبارا لهم من ناحية أخرى فقال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ

الْخَاسِرُونَ﴾[٨]. قال جل وعلا: ﴿ وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[٩]. وقال جلال وعلا: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[١٠]. لذا فإن المؤمن العاقل هو الذي يعلم الغاية من المال، ويعلم أن المال ظل زائل وعارية مسترجعة ولا ينسى أبداً حبيبه المصطفى كما في صحيح مسلم من حديث عبدالله بن الشخير، «مالك يا بن آدم تقول مالي مالي، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فافنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فامضيت».

ومن حق المواطن أن يأمن على ماله ولو قل، من حقه أن يأمن على بيته، من حقه أن يأمن على أولاده، من حقه أن يأمن على تجارته، من حقه أن يأمن على ماله في المجتمع ولو قل هذا المال، لا يجوز لأحد البته أن يأخذ هذا المال منه بغش أو بسرقة أو بنصب أو بغصب أو بظلم أو باحتيال قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً﴾[١١]. وقال تعالى: ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[١٢].

حرمة العرض: من حق الفرد على المجتمع أن يأمن على عرضه، العرض هو موضع المدح والذم في الإنسان.

وفي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم وعن أبي موسى الأشعري عن النبي سئل أي المسلمين أفضل قال: «من سلم المسلمون من لسانه ويده».

لعل الإسلام هو الدين الوحيد الذي عني عناية فائقة بالدعوة إلى السلام وجعلها دعامته الأولى.. وقد تناول كتابه القرآن الكريم (السلم والسلام) في عشرات من آياته المحكمات. ليس ذلك فحسب، بل إن السلام اسم من أسماء الله تعالى وصفة من صفاته ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ ﴾. تحيته إلى عباده، وأمرهم بأن يجعلوا السلام تحيتهم يلقيها بعضهم على بعض وشعارهم في جميع مجالات الحياة، في المسجد والمعهد والمصنع والمتجر.

وسمى الجنة دار السلام: ﴿والله يدعو إلى دار السلام﴾، لهم دار السلام عند ربهم:

﴿ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾. وجعله سبحانه وتعالى جزاء على رضوانه: ﴿ يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ﴾والآيات التي تناولت السلام كثيرة، تتدرج من قوله تعالى: ﴿سلام قولاً من رب رحيم﴾، ﴿سلام على نوح في العالمين سلام على ابراهيم.. سلام على موسى وهارون.. سلام على آل ياسين.. وسلام على المرسلين)، إلى قوله عز من قائل: ﴿سلام هي حتى مطلع الفجر﴾، ﴿وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فأدخلوها خالدين﴾، إلى أن يقول: ﴿فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون﴾.

من هنا كان السلام شعار المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها منذ ظهور الإسلام حتى الآن. وهو شعار يلقيه المسلم على صاحبه كلما لقيه وكلما انصرف عنه، فيقول له: (السلام عليكم)، ويلقيه المسلم كل يوم خمس مرات على الأقل في الصلوات المفروضة حين يصلي ويقرأ التحيات ويختم صلاته بقوله: ﴿السلام عليم ورحمة الله وبركاته﴾ مرتين، مرة ذات اليمين وأخرى ذات الشمال.. لابد ـ إذن ـ أن يكون هذا الشعار الذي يردده المسلم كل يوم وكل ساعة، من أعظم القيم الدينية.

وإذا كان السلام ـ كما أسلفنا ـ من أسماء الله الحسنى فما معنى هذا؟ يقول الغزالي في كتابه القيم (المقصد الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى): (السلام هو الذي تسلم ذاته من العيب وصفاته من النقص وأفعاله من الشر، حتى إذا كان كذلك، لم يكن في الوجود سلامة إلا وكانت معزوة إليه صادرة منه. وقد فهمت أن أفعاله سالمة من الشر، أعني الشر المطلق المراد لذاته لا لخير حاصل في ضمنه أعظم منه، وليس في الوجود شيء بهذه الصفة . فالسلام، باعتباره اسماً من أسماء الله الحسنى، له قيمة مطلقة حتى إذا نزلنا إلى مرتبة البشر كان السلام نسبيا بالإضافة لا مطلقاً، وكانت قيمته الإنسانية أقل بطبيعة الحال من قيمته الإلهية).

والعلة في ذلك، أن الإنسان تدفعه شهواته إلى النقص والشر.. ولذلك يضيف الغزالي مستطرداً بعد شرح اسم السلام: (كل عبد سلم من الغش والحقد والحسد وإرادة الشر قلبه، وسلم من الآثام والمحظورات جوارحه، وسلم من الانتكاس والانعكاس صفاته،

فهو الذي يأتي الله بقلب سليم).

وهو السلام من العباد، القريب في وصفه من السلام المطلق الحق الذي لاثنائية في صفته، وأعني بالانتكاس في صفاته أن يكون عقله أسير شهوته وغضبه إذ الحق عكسه، وهو أن تكون الشهوة والغضب أسير العقل وطوعه.. فإذا انعكس فقد انتكس.

فإذا وعينا ذلك، عرفنا أننا مطالبون بأن نكون في صفاتنا قريبين من صفات الله، وترتفع قيمتنا كلما تدرجنا في سلّم هذه الصفات، بحيث تكون أقرب شيء إلى الله تعالى. وكلما ابتعدنا عن تلك الصفات هبطت قيمتنا.

نحن إذن ـ عندما نلقي بالتحية على غيرنا ـ إنما نلقي اسما من أسماء الله يحفظهم، وكأننا ندعو لهم أن يكونوا في صفاتهم قريبين من صفة السلام، وهي السلامة عن العيب والنقص: ﴿ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِناً﴾. ومن هنا تنعقد الصلة بين السلام والإسلام.

لقد قيل في تعريف الإسلام الشيء الكثير: قيل: إنه من الانقياد أو من الاستسلام، أي الانقياد إلى أوامر الله والاستسلام له تعالى باجتناب نواهيه.. ولكن هذا المعنى تصرف به كثير من المسلمين حتى خرجوا به عن معناه الأصيل وقيمته الحقيقية، وظنوا أن الاستسلام هو هذا السلوك السلبي الذي يهدر معنى الإنسانية، وأصبح الإسلام مجرد خضوع وخنوع.

وقيل: ان الإسلام من السلامة والخلوص من الشوائب والنقص.. وهذه القيمة قريبة إن لم تكن مطابقة للمعنى الذي ذهب إليه الغزالي. وقيل: إن الإسلام من السلام الذي هو ضد العدوان.. سلام

أولاً – بين العبد وبين نفسه، ثم سلام

ثانيا – بينه وبين الله تعالى، ثم سلام

ثالثاً – بينه وبين غيره من الناس.

وهذا المعنى الأخير يلائم المفاهيم الجارية في العصر الحاضر.. فالعالم يعيش في خوف وهم وقلق خشية الوقوع في حرب مدمرة تهلك الحرث والنسل، وهناك أمم

تدعو إلى الحرب، وتعد لها العدة، وأخرى تنادي بالسلام.

الإيمان عقيدة تدعو إلى السلام، ويضع هذه القيمة على رأس القيم التي فيها صلاح العالم وخيره والأخذ بيده. لقد قام الوطن الإسلامي الأول في ظل النبي العربي العظيم محمد بن عبدالله على أساس توافر هذه المقومات التي لم ينقص من اهميتها وأثرها في تكوين الوحدة الوطنية أن يكون لأبنائه يومئذ أكثر من دين واحد، نعم قامت دولة الإسلام الأولى. فإذا دستورها المثالي كما تقرره صحيفة الموادعة بين المسلمين واليهود، ببسط جناح الأمن والسلام والإخاء على أهل المدن جميعها بدرجة واحدة. مساواة تامة في الحقوق والواجبات، لا يلمح فيها ظل للتفريق بين المسلم صاحب الأكثرية والرياسة وبين اليهودي الذي يمثل الأقلية التابعة، فضلا عن المسيحي الذي تشده إلى المسلم روابط وثيقة، لا يمكن لانسان ان ينال منها فيظفر بفكاكها، فهي باقية خالدة على الأيام والدهر، لا تزعزعها الحوادث.

تسامح الإسلام

لقد كان للاسلام مع إخوانه أتباع الشرائع السماوية الأخرى قصص يرويها التاريخ بإعجاب وإكبار وتقدير. فلم يسمع عن رسول الله أو عن أحد من خلفائه أنهم قتلوا نصرانياً لأنه لم يسلم. ولم يسمع عنهم انهم عذبوا كتابياً أو سجنوه أو منعوه من التعبد وإقامة شعائر دينه، ولم ينقل عنهم انهم خلال فتوحاتهم الحربية ودعواتهم السلمية، هدموا كنيسة أو قوضوا بيعة... وإنما قال التاريخ: إن رسول الله صالح نصارى نجران فكتب لهم عهداً جاء فيه: (ولنجران وحاميتها جوار الله وذمة محمد على أموالهم وأنفسهم وملتهم وبيعهم وغائبهم وشاهدهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير. لا يغير أسقف من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته، ولا كاهن من كهانته، ولا يحشرون ولا يعشرون ولا يطأ أرضهم جيش).

أجل، الإسلام دين يدعو إلى السلام، وإذا كانت قد نشبت حروب في الإسلام منذ

ظهوره، فإنما كانت لدوافع منها رد العدوان والدفاع عن النفس، ومحاربة المشركين والطغاة والظالمين والفاسقين إقراراً لدين الله وإعلاء لكلمته وتطهيراً للأرض من دنس البغاة والطغاة.

ولم تكد هذه القيمة الجديدة تلقى في الميدان الدولي، ونعني بها السلام، حتى لقيت آذاناصاغية، فقبلتها أولا جميع الشعوب في سائر الدول، وقبلتها دول كثيرة لا مصلحة لها في الحروب.

وهكذا نرى دعوة السلام تغزو العالم كله من جديد ستنتصر بإذن الله لأنها الحق، لأنها دعوة دينه الإسلام الذي ارتضاه.. فمن جاءك مسلما فهو آمن ولا بأس عليه وينبغي أن تتعاون معه وأن توليه ثقتك، وبهذا التعاون يتم التآلف ويقوم العمران وتذهب الاضطرابات من النفوس ويقشع القلق من القلوب ويتحقق الامن.

ولقد قال النبي: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظلّ إلا ظله» أولهم «الإمام العادل» وقال: «إذا حكمتم، فاعدلوا، وإذا قلتم، فأحسنوا، فإنّ الله عزّوجل محسن، يحب الاحسان».

وجه الدلالة: يدل الحديثان على أن الحاكم مأمور بالعدل في حكمه وتحقيق الامان واختصاصه بمنزلة عظيمة، حيث يكون من الذين يستظلون بظل الله يوم القيامة، والسلام قيمة يقابلها العدوان.. ومن هنا ينشأ الصراع بين القيمتين. أيؤثر الفرد السلام على العدوان أم بعكس الأمر يؤثر العدوان. وكذلك الحال في الأمم، فهناك أمم تدعو إلى السلام وأخرى تأخذ بمبدأ الحرب. والصراع العالمي الذي نشهد آثاره في الوقت الحاضر ونعيش في جوه كل يوم، بل كل ساعة، إنما هو في الواقع صراع اتجاهين كبيرين تجتذبهما قيمتان متضادتان، وهما: السلام والعدوان. ويحدثنا التاريخ أن دعاة الحرب إنما يفعلون ذلك لمصلحة طبقة معينة وبخاصة أصحاب المصانع التي تنتج المعدات الحربية لما يجنونه من أرباح خيالية تفوق بكثير ملايين الأرواح التي تزهق والانفس التي تشوه. وقد فطن الإسلام إلى الضرر الذي ينشأ من الحرب والعدوان فنهى عن ذلك أشد النهي في كثير من آيات الذكر الحكيم والسنة المطهرة، وبشر

المعتدين بعذاب أليم وبالخزي والخسران في الحياة الدنيا. وكان من الضروري أن يؤكد الإسلام قيمة السلام في زمان انحرفت فيه الدول العظمى المعروفة في ذلك الحين، وهما دولتا الفرس والروم فالفرس كانوا يدينون بالهين، أحدهما اله الخير والآخر إلأه الشر، وكانوا يعبدون الإلهين معاً ! وأما الروم، فعلى الرغم من مسيحيتهم، وعلى الرغم من أن النصرانية عقيدة محبة وسلام، فقد ضربوا بهذا كله عرض الحائط وانساقوا وراء المغانم الدنيوية يحققونها بالعدوان والحروب. ولا تزال بعض الدول المعاصرة تسلك هذا المسلك البعيد عن التعاليم الدينية والقيم الخلقية.

أما الإسلام فإن دعوته إلى السلام صريحة. قال تعالى: ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها﴾. ويخطئ من يظن أن انتشار الإسلام كان بحد السيف أو بما يسميه بعض المستشرقين (الجهاد) ذلك ان الجهاد المقصود هو جهاد النفس لا العدوان بغير حق أو فساد في الأرض وكذلك جهاد المعتدين والظالمين كالصهاينة والمستعمرين.

وعندما جاءت رسالة الإسلام كشفت عن الاخطاء التي سيطرت على عقول الناس وتحولت إلى شرور بينهم وقدمت بدلا منها لهم المنهج الصحيح ودعت الإنسان إلى التطبيق العملي لهذا المنهج لبناء حضارة الإنسان من خلال سلوكه السلوك الصحيح وفقا للمنهج الرباني فقامت الحضارة الإسلامية التي وصلت غرباً إلى جبال البيرينه في فرنسا وشرقا إلى الصين ومن خلال دعوة الله سبحانه وتعالى إلى العلم والمعرفة من خلال تطبيق المنهج الرباني بشكل عملي في الحياة اليومية ازدهرت العلوم بكافة انواعها واشكالها في الطب والهندسة والعلوم التطبيقية إلى ان بدأ يطغى الباطل على حقوق الانسن العامة فتفككت الحضارة الإسلامية لأن بعض قياداتها قد تخلت عن المنهج الرباني وشذت عن طريقه.

لم يرق للذين تربعت الدنيا بزخرفها على قلوبهم، وقد تشبثوا بالوسائط المادية، أن يذعنوا للإسلام، وهو ينادي بأن الناس سواسية كأسنان المشط، وأنهم كلهم متساوون في الحقوق السياسية وغيرها، ولا فرق بين غني وفقير، ولا وجيه وصعلوك، ولا حاكم ومحكوم، كيف وهم الأغنياء أصحاب الحسب والجاه والسلطان، يرون أنفسهم سادة

فوق الناس، ويتفاخرون بآبائهم وأجدادهم؟! فقد جاء الإسلام ليحطم كل هذه النعرات، ويذيب الفوارق، فالله سبحانه وتعالى يضع الأنساب يوم القيامة، ولا يرفع إلا من انتسب إليه: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءلُونَ﴾(١٣).

وها هو يحذر من أمور الجاهلية، فيقول: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية، لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة».

وقد ترجم النبي(ص) المساواة منذ إشراقة الدعوة الإسلامية، حيث كان يجمع في مجلسه الأغنياء، كأبي بكر، وعبدالرحمن بن عوف (رض) ، والفقراء كبلال، وصهيب(رض) ، فأبى مشركو قريش أن يجتمعوا والضعفاء في مجلس واحد، وقالوا لرسول الله(ص): نريد أن تجعل لنا منا مجلسا تعرف لنا به العرب فضلنا، فإن وفود العرب تأتيك، فنستحي أن ترانا مع هؤلاء الأعبد، فإذا نحن جئناك، فأقمهم عنا، فإذا نحن فرغنا، فاقعد معهم إن شئت، فنزل قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾(١٤).

والأمم قبل الإسلام كانت تعرف معنى العدل والظلم، ولكنها ما كانت تعرف حدود كل منهما، فكانت تلك الحدود.

الإيمان يدعو للسلام ويحقق الامان

يقول الله تعالى في كتابه العزيز في سورة النساء «الجار بالجنب» ويقول رسول الله(ص): «ظل جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه».

لم يقل الجار المسلم ولا المسيحي ولا اليهودي ولا البوذي ولا الملحد، وإنما الجار دون النظر إلى دينه أو عرقه أو لونه... الخ.

ثم الحديث النبوي الشريف: «لا يؤمن أحدكم يأمن جاره بوائقه، والبوائق ابتداء من الأذى حتى حدود الله». وهذا الجار وان كان في المفهوم انه الفرد لكنه في المفهوم العام ينطبق على الجماعات والدول حتى يشمل العالم بأسره وفي العصر الحديث ظهر مفهوم الاتفاقيات والمعاهدات الدولية وقد نص عليها القرآن الكريم في الآيات التالية:

يقول الله تعالى في سورة المائدة: ﴿يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾.

والعقود مفردها العقد وهي في المفهوم الدولي الاتفاقيات التي تعاقدت عليها الدول المعنية في تلك الاتفاقيات، ويقول الله تعالى في سورة الإسراء ﴿وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولا﴾.

والعهد في المفهوم الدولي هو المعاهدات الدولية، وفي هذه الآيات تشديد على المسؤولية بالمعاهدات بين الدول وهذا يفرض على المسلم سلوكاً إلزامياً بالمحافظة على تطبيق المعاهدات وانه مسؤول عن ذلك أمام الله ثم أمام الناس، وكل من ينقض العهد فهو ليس بمؤمن ودليل ذلك قول رسول الله(ص):

آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب وإذا اؤتمن خان وإذا عاهد غدر.

ولهذا فإن التعاون الدولي مع الدول الإسلامية مريح تماما للدول الأخرى لان المعاهدات تقوم على مبدأ فيه رادع وهو العقوبة الإلهية ونفي الإيمان في حال نقض العهد ولهذا فان المحافظة على السلام والدعوة إليه مستندها الحب لله ورسوله وطاعة الله ورسوله وفق المنهج الرباني لتنظيم شؤون الحياة للناس كافة على أسس الأمن والسلام.

ومن هذا المنطلق يقول الله تعالى في سورة البقرة: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾

لم يقل الله سبحانه أيها المسلم ولا أيها المسيح ولا أيها اليهودي ولا أيها البوذي ولا أيها العربي ولا أيها الأوروبي ولا أيها الأمريكي.. وإنما قال يا أيها الذين آمنوا أي آمنوا بمنهج الله سبحانه وتعالى فقد أمرهم أن يدخلوا في السلم كافة فيما بينهم من جهة وبين الناس جميعاً.

إذا الله سبحانه وتعالى يدعو الناس من خلال القرآن الكريم إلى السلام لان الله الذي خلق الإنسان فهو يحبه ويحب له السلام ويرفض أن يقتل أو يفسك دمه.. إذ يقول الله تعالى في كتابه العزيز:

﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ

أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ هذا هو المنهج الإسلامي الذي التزم به الإسلام ودعا الله سبحانه وتعالى المؤمنين لكي ينشروا السلام في العالم.

والآية الأخرى التي تدعو للسلام: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ﴾.

الله من خلال المنهج الإسلامي يدعو إلى السلام ويحث المسلمين على الدعوة إلى السلام فإذا وقع اعتداء أو خيانة على المسلمين وجب على المسلمين الجهاد فان طلب الخصم السلم وجب على المسلمين الاستجابة لذلك وينتهي القتال من خلال معاهدات أو اتفاقيات تؤدي إلى السلام.

ولهذا فان الإسلام لا يدعو إلى الاستسلام وانما يدعو إلى السلام العادل.

العلاقة مع غير المسلمين

يقوم المجتمع على عقيدة واضحة، وأحكام ثابتة، تنبثق منها قواعده ونظمه، وآدابه وقيمه، فقد اعتمد الإسلام منهجاً ودستور حياة، ومصدراً لأحكامه وتشريعاته، وحرص على تقوية الوحدة الاجتماعية داخل الوطن الواحد، واكد على ضرورة تماسكها، دون إثارة حساسيات، أو افتعال خلافات.

ومن سمات المجتمع الإسلامي إقراره للتعايش وفق منهجه السمح في تعامله مع المخالفين، والمسالمة مع المسالمين، وقد أولى رسول الله، هذا الجانب عناية فائقة، وجعله من أولى اهتماماته عند تأسيسه الدولة الإسلامية الأولى في المدينة، ليقيم نظاماً أمنياً مشتركاً مع الفئات الأخرى، حيث اعتبر توفير الأمن من أهم المطالب، ولم يكن المجتمع ـ إذ ذاك ـ مقصوراً على المسلمين فحسب، بل ضمَّ فئات مختلفة من أصحاب الديانات الأخرى، لذلك وضع الإسلام قواعد وأحكاما تنظم علاقة المسلمين معهم، وتبرز التعايش بينهم وبين المسلمين في المجتمعات الإسلامية على مر العصور، وفي مختلف الأزمان.

لقد قرر الإسلام التعايش الاجتماعي الآمن من المخالفين والمسالمين المقيمين في

كنف الدولة الإسلامية، وأباح أكل طعامهم، وأحل ذبائحهم، وجوز مصاهرتهم.

وأوصى رسول الله، بحفظ حقوق أهل الكتاب، ورعايتها، وصيانة دمائهم وأموالهم، وعدم الاعتداء عليهم، فعن عبدالله بن عمرو بن العاص (رض) قال: قال رسول الله من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً.

وهذا يظهر روح الإسلام السمحة، وعدالته القائمة، وأنها مبذولة للبشرية كلها، لنشر الرحمة، وإشاعة الأجواء الآمنة وتوثيق العلاقات الإنسانية.

إن الإسلام لا يحكم بالفناء على جميع العناصر التي تعيش داخل مجتمعه ممن لا تدين به، بل يوطد العلاقة بينها وبين المسلمين، ويحترم المواثيق، ويعنى بالعهود، ولا يقبل الغدر والخيانة.

إنّ الخطيب عليه أن يبرز من على منبر المسجد، ويوضح للناس تلك القيم الإسلامية السامية، والمواقف الحكيمة والعادلة، في نظرة الإسلام إلى غير المسلمين في المجتمع المسلم، وأن وجود جماعات وطوائف عديدة متعايشة مع المسلمين دليل على التزام ظاهرة التسامح، وتجنب الفرقة والاضطهاد، وأن المجتمع الإسلامي لا يعرف النعرات، بل يحرص على إضفاء روح المودة، ونشر الأمن والاطمئنان، والتعايش مع الآخرين لإشاعة أجواء السلام والأمان، وتجنب الخصومات والمنازعات، والبعد عن إثارة الفتن والمنغصات، وما يعصف بأمن المجتمع واستقراره، أو جلب الضرر لجميع فئاته، أو يزرع الأحقاد والعداوة في صفوفه.

المساواة وترسيخ الأمن في النفوس

يؤدي الإيمان دورا مهما لتحقيق الامن وتهذيب النفوس، وتنقيتها من شوائب الحقد والضغينة، المؤدية إلى التشتت والافتراق، والمثيرة للنزاع والانقسام والشقاق، إذ يغرس في نفوس الأفراد السلوك الصحيح لتنمية الشعور بأن الجميع أسرة واحدة، تجمعهم رابطة الإسلام، وتضمهم وشيجة الإيمان، وذلك من خلال المساواة التي هي من أبرز القيم التي أصلها الإسلام في النفوس، والمنبثقة من وحدة الأصل الإنساني.

ولقد كتب رسول الله(ص) كتاباً بين المهاجرين والأنصار، وادع فيه اليهود، وأقرهم على دينهم وأموالهم، وقد ذكر ابن هشام هذا الكتاب بطوله في سيرته، وهو يتضمن المبادئ التي قامت عليها اول دولة في الإسلام، وفيها من الإنسانية والعدالة والاجتماعية والتسامح الديني والتعاون على مصلحة المجتمع ما يجدر بكل طلب أن يرجع إليه ويتفهمه ويحفظ مبادئه.

ونحن نذكر المبادئ العامة التي تضمنتها هذه الوثيقة التاريخية الخالدة.

١ – وحدة الأمة المسلمة من غير تفرقة بينها.

٢– تساوي أبناء الأمة في الحقوق والكرامة.

٣– تكاتف الأمة دون الظلم والإثم والعدوان.

٤– اشتراك الأمة في تقرير العلاقات مع أعدائها لا يسالم مؤمن دون مؤمن.

٥– تأسيس المجتمع على أحسن النظم وأهداها وأقومها.

٦– مكافحة الخارجين على الدولة ونظامها العام، وجوب الامتناع عن نصرتهم.

٧– حماية من أراد العيش مع المسلمين مسالما متعاوناً، والامتناع عن ظلمهم والبغي عليهم.

٨– لغير المسلمين دينهم وأموالهم، لا يجبرون على دين المسلمين، ولا توخذ منهم أموالهم.

٩– على غير المسلمين أن يسهموا في نفقات الدول كما يسهم المسلمون.

١٠– على غير المسلمين أن يتعاونوا معهم لدرء الخطر عن كيان الدولة ضد كل عدوان.

١١– وعليهم أن يشتركوا في نفقات القتال مادامت الدولة في حالة حرب.

١٢– على الدولة أن تنصر من يُظلَم منهم، كما تنصر كل مسلم يُعتدى عليه.

١٣– على المسلمين وغيرهم أن يمتنعوا عن حماية أعداء الدولة ومن يناصرهم.

١٤– إذا كانت مصلحة الأمة في الصلح، وجب على جميع أبنائها مسلمين وغير مسلمين أن يقبلوا بالصلح.

١٥- لا يؤاخذ إنسان بذنب غيره، ولا يجني جان إلا على نفسه وأهله.

١٦- حرية الانتقال في داخل الدولة والى خارجها مصونة بحماية الدولة.

١٧- لا حماية لآثم ولا لظلم.

١٨- المجتمع يقوم على أساس التعاون على البر والتقوى، لا على الإثم والعدوان.

هذه المبادئ تحميها قوتان

قوة معنوية، وهي: إيمان الشعب بالله ومراقبته له ورعاية الله لمن بر ووفى.

وقوة مادية، وهي: رئاسة الدولة التي يمثلها محمد(ص).

نتائج البحث

١ - أمر الله كل امرئ أن يمد أقصى يد العون والإحسان إلى باقي أفراد أسرته، وأقاربه وخدمه وجيرانه.

ـ تميز المرء في الإسلام لا يستمد من الطبقة أو اللون؛ ولا من النسب أو الثروة، بل من التقوى والعمل الصالح دون سواهما.

٢- بنو آدم كلهم أسرة واحدة من أب واحد وأم واحدة، والإنسانية وحدة واحدة، ليس في النسب فحسب، بل فيما خلقت من أجله.

٣- كل الناس بنو آدم، وهم سواء: في مكانتهم البشرية وفيما خلقوا من أجله.

ـ يحترم المسلمون مصالح الآخرين وحقهم في الحياة، ويحفظون أموالهم وأعراضهم طالما لم يمسوا حقوق المسلمين وينبذ الإسلام العدوان بكل أشكاله.

٤- الجهاد في الإسلام هو مد يد العون للشعوب المقهورة لاستعادة حريتهم وحقوقهم المشروعة، حتى يختاروا بمطلق حريتهم ما يقتنعون به من عقيدة ومنهج الحياة. ولا يبيح الإسلام، ولم يبح يوما، إكراه أو ابتزاز أو رشوة أحد ليتحول إلى الإسلام.

٥- وعلى النقيض من ذلك فإن المسلمين هم الذين تعرضوا ومازالوا يعانون من

شتى صنوف القهر والضغوط الاقتصادية والابتزاز ليتخلوا عن دينهم. وما الأندلس (أسبانيا)، وفلسطين، والهند، وبورما، والبوسنة، إلا بعض أمثلة من هذه الجرائم في الماضي والحاضر. بينما يتمتع غير المسلمين: يهودا ومسيحيين في المجتمعات الإسلامية دوما بالأمن وصيانة الحقوق واحترامها.

٦- يلجأ المسلمون إلى الحرب عندما يتعرض أمن الدولة للخطر. وفي حالة الحرب يحظر تماما إتلاف الثمار والمواشي، أو قتل غير المحاربين من النساء والأطفال والشيوخ.

٧- تحترم الاتفاقات الدولية بكل دقة، إلا إذا بدأ الغير بالخروج عليها. لا يجوز التحلل من العهد طمعا في مكسب سياسي أو اقتصادي مؤقت.

الهوامش:

---

١ - الانعام/ ١٦٢-١٦٣.

٢ - النساء/ ٦٥.

٣ - الحجرات/ ١٣.

٤ - النساء/ ٩٣.

٥ - النور/ ٣٣.

٦ - الحددي/ ٧.

٧ - آل عمران/ ١٨٠.

٨ - المنافقون/ ٩ .

٩ - الانفال/ ٢٨.

١٠ - الأنبياء/ ٣٥.

١١ - النساء / ٢٩

١٢ - المائدة/ ٣٨

١٣ - المؤمنون/ ١٠١.

١٤ - الانعام/ ٥٢.